

رؤية منهجية في التفسير الصوفي

د. رضوان جمال الأطرش²

عائشة خليفة عبد الستار¹

ملخص البحث

تقدم هذه الدراسة رؤية منهجية لمعالم التفسير الصوفي للقرآن الكريم والذي يركز بشكل عام على الاستدلال الوجداني لاستنباط المعاني الإشارية من القرآن لتناسب مع رياضات أهله ومواجيدهم لمعرفة الذات. والمنهجية لا تتضح إلا عبر نماذج من أعلامهم، واختار الباحثان أهمهم: ابن عربي وأبو عبد الرحمن السلمي، والتستري وغيرهم. وقد تم التوصل إلى أن التفسير الصوفي ينقسم إلى تفسير نظري فلسفي يطوّع الآيات لتوافق فلسفة المفسر المستمدّة من مصادر غير إسلامية كال يونانية، وتفسير إشاري ينقسم بدوره إلى مقبول ومذموم، ومعيار القسمة هي الضوابط التي ألحقتها الباحثة بالبحث في مطلبه الثاني؛ مبيّنة أن التفسير الإشاري يعتمد على إشارات القرآن ويخرج عن التفسير المبين إلى التفسير بالرأي المذموم متى لم تتضح الإشارات المرتبطة بالمعاني التي لا توجد في ظاهر الآيات، جالبة أقوال العلماء فيه والأدلة التي استدّلوا بها على ضبطه بالضوابط الشرعية.

الكلمات المفتاحية: رؤية، منهج، تفسير، صوفي.

Abstract

This study provides a methodology for mapping a systematic view of the mystical interpretation of the Holy Quran. In general, it focuses on conscientious and emotional reasoning in order to derive and to develop indicative meanings of the reference from Qur'an to fit the sports of its people and their self-knowledge. The methodology does not become clear except through models of their scholars, thus, the researcher chose topped and the most important of them such as: Ibn Arabi and Abu Abdul Rahman al-Salami, Tistri and others. Consequently, it has been concluded that the Sufi interpretation is divided into two categories; a philosophical theoretical interpretation that uses the Quranic verses to conform

¹ طالبة دكتوراه في قسم الفقه وأصول الفقه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

² أستاذ مشارك في قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

the philosophy of the interpreter that is derived from non-Islamic sources such as Greek, and an indicative interpretation of index which is also divided into acceptable and indecent. The criteria of division is the same as the controls applied by the researcher in his second request indicating that the interpretation is based on the signs of the Quran, and it comes out of the interpretation shown to the opinion of the indecent interpretation when the signs associated with the meanings do not correspond the Quranic verses and do not exist in the apparent of them. The researcher relied on scholars` opinions and the evidence that they used to determine her compliance with the Shariah rules.

Keywords: *vision, approach, interpretation, mystic.*

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً للعالمين، والصلاة والسلام على من نزل الكتاب على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد!

تعددت مناهج تفسير القرآن الكريم وتأويله عند العلماء والمفسرين، وذلك وفقاً لتعدد الأنظار والمداخل التي يبنى عليها مسار التفسير والتأويل، يقول مساعد الطيار: إنَّ التفسيرَ إنما هو شرحٌ وبيانٌ للقرآن الكريم، فما كان فيه بيانٌ، فهو تفسيرٌ، وما كان خارجاً عن حدِّ البيان، فإنه ليس من التفسير، وإن وُجدَ في كتبِ المفسِّرين.³ وهناك مداخل تعتمد منهج التفسير بالأثر بمعنى تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسيره بالسنة أو بأقوال الصحابة والتابعين، ومراعاة أسباب النزول، وثمة مناهج أخرى شغلت بما تجاوز التفسير البياني إلى المعالم التشريعية والقانونية والأحكام الفقهية والأصولية والموضوعية، والتأويلات الإعجازية العددية والعلمية وغيرها. وفي سياق هذا التعداد يندرج التأويل الإشاري أو الرمزي أو العرفاني (وهي تسميات متعددة لمسمى واحد، اختصَّ به الصوفية، وهو لون من ألوان فهم القرآن الكريم، يعتمد على التجليات والفتح الرباني كأداة من أدوات التفسير)، تحت ما يسمى بالتفسير بالرأي. وستتناول الباحثة أحد أنواع التفسير بالرأي وهو التفسير الصوفي، وعليه فتقسيم البحث كالتالي:

المطلب الأول: التفسير الصوفي مفهومه وأنواعه

المطلب الثاني: التفسير الإشاري سماته وحكمه

³ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط2،

1427هـ)، ص 64.

التفسير الصوفي مفهومه وأنواعه

مفهوم التفسير الصوفي:

التفسير الصوفي له مسميات كثيرة منها: التأويل الإشاري أو الرمزي أو العرفاني أو التفسير الروحي واللاحرفي، وهي تسميات متعددة لمسمى واحد، اختصَّ به الصوفيّة. و"التفسير الصوفي هو طريقة في أخذ الآية من حيث وقعها في النفس، ومن حيث إحياءاتها الروحانية في تجربة الإيمان العميق"⁴.

وقد عرّف الصابوني: "التفسير الإشاري" بقوله: "هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، بسبب إشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة"⁵. ومنه يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، قد تحتمله إشارة الآية الكريمة ولكنه لا يظهر لعامة الناس، وإنما يظهر لخاصتهم ممن فتح الله قلبه وأنار بصيرته من عباده الصالحين، الذين منحهم الفهم والإدراك، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبي الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح، كما قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282].⁶

يقول الشيخ صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن مفرقا بين التفسير الصوفي المنقود والتفسير الإشاري: "ويغلب على تفاسير المتصوفة الشطحات التي تبعدهم عن النسق القرآني، وتجعل كلامهم غامضاً إلا على المشتغل بالشئون الروحية، الذي تعلم أساليب المتصوفة ومرن عليها"⁷ وقال عن التفسير الإشاري بأنه "هو الذي تؤول به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي"⁸.

أقسام التفسير الصوفي

⁴ جعفر الصادق، حقائق التفسير و مصباح الشريعة، إشراف: علي زيعور، (بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ط1، 1413هـ/1993م)، ص 53.

⁵ محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، (تهران: مكتبة دار احسان، ط3، 2003م)، ص171.

⁶ علوي بن عبد القادر السقاف وآخرون، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (د.م: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، د.ط، 1433هـ)، ج8، ص2.

⁷ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (بيروت: دار العلم للملايين، ط10، 1977م)، ص295.

⁸ الصالح، المرجع نفسه، ص 296.

ينقسم التفسير لدى الصوفية إلى قسمين يرتبطان بعقيدة وعقل المفسر للقرآن الكريم، وفيما يأتي عرض لهما مع التعريف والأمثلة :

التفسير النظري أو الفلسفي الصوفي

هو التفسير المبني على نزعة فلسفية حيث توجه الآيات القرآنية لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم، حرصا على أن يجد في القرآن ما يشهد لنظرياته وفلسفته، ولأنه ليس من السهل أن يجد في القرآن ما يتفق صراحة مع تعاليمه، ولا ما يتمشى بوضوح مع نظرياته فإنه يحاول أن يطوع القرآن قسراً لرأيه، لينتهي بعد ذلك إلى فهم يخرج النص القرآني عن ظاهره الذي يؤيده الشرع وتشهد له اللغة.⁹ ومثال ذلك ماجاء عند ثلاثة من مفسريهم: يرى ابن عربي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النسا:56]؛ أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: حُجِبُوا عن تجليات صفاتنا وأفعالنا، إذ مطلع الآية كونه متجليا بالعلم والحكمة والملك في آل إبراهيم ﴿سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ﴾ نار شوق الكمال، لاقتضاء غرائزهم وطبائعهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه، أو نار قهر من تجليات صفات قهره تناسب أحوالهم، أو نار شره نفوسهم وحدة شوقها وطلبها لما ضريت به من كمالات صفاتها وشهواتها مع حرمانها منها ﴿كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنه ﴿بَدَلْنَاهُمْ﴾ حجا غيرها جديدة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ قويا يقهرهم ويذلهم بذل صفات نفوسهم، ويجرقهم بنيران توقانها إلى كمالاتهم مع حرمانهم أبدا ﴿حَكِيمًا﴾ يجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذي اختاروه لأنفسهم بدواعيهم الغضبية والسهوية وغيرها، وميولهم إلى الملاذ الجسمانية، فلذلك بدلوا حجا ظلمانية بعد حجب¹⁰. ونلاحظ هنا بأن التدوق الوجداني القائم على ضرب من الحدس النفسي يسود في شرح في هذه الآيات. ولذلك نجد فيه كثرة العبارات الغامضة

⁹ انظر: محمود عبد الرازق الرضواني، المعجم الصوفي. رسالة الدكتوراه، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة. د.ت، ص131-132. و محمد السيد حسين الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، (د.ت). تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، (ط2)، ص.7.

¹⁰ محي الدين ابن عربي، تفسير، على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، (د.م: طبعه حسن حلمي الكتي وحمد حسن جمالي الحلبي، دط، 1317هـ)، مج 2، ج1، ص20.

وغير المفهومة وتطبيقات النص القرآني بحسب رؤية ابن عربي دون شاهد أو قرينة من إشارة تصرف الظاهر إلى ما ذكره ابن عربي.

ويفسر ابن عربي قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8]. "اذكر اسم ربك الذي هو أنت. أي اعرف نفسك، ولا تنسها فينساك الله"¹¹، ويعلق الخالدي على تفسير ابن عربي بأن هذا قول بوحدة الوجود، بالرب والإنسان عنده شيء واحد، ﴿وَأَسْمَ رَبِّكَ﴾ هو: أنت. وهذا ضلال باطل، وليجعل هذا المعنى الباطل صوابًا حمل عليه الآية، وجعل معنى ذكر اسم الرب فيها ذكر النفس وعدم نسيانها. وهذا المعنى مردود باطل.¹²

وكذلك تفسير ابن عربي لقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19-20]. يقول ما نصه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ بحر الهيولى الجسمانية الذي هو الملح الأجاج، وبحر الروح المجرد الذي هو العذب الفرات ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في الوجود الإنساني، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الروح المجردة ولطافتها، ولا في كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها، ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه، ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا. سبحانه خالق الخلق القادر على ما يشاء".¹³

وهكذا نرى ابن عربي يتأثر في تفسيره للقرآن الكريم بنظرية وحدة الوجود التي هي أهم النظريات التي بنى عليها تصوفه، كما في المثال الثاني، أما في المثال الثالث فيظهر تأويله للقرآن على وفق النظريات الفلسفية اليونانية التي تصنف الموجودات في تراتبية ينحدر نوع الإنسان فيها من جنس الحيوان كما أنها ترجع أصل الموجودات إلى مادة تسمى بالهيولى.

أما السلمى فيفسر قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النسا: 66]. حيث قال: ﴿أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وذلك بمخالفة هواها،

¹¹ المرجع السابق، ج4، ص 436.

¹² انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، (دمشق: دار القلم.الخالدي، ط2، 142 9هـ/

2004م، ص 497-499.

¹³ ابن عربي، تفسير، ج4، ص 281-282.

﴿أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: "أخرجوا حبّ الدنيا من قلوبكم"¹⁴. بينما المراد في الآية هو قتل النفس حقيقة بإزهاق الروح، والخروج من الديار بمغادرتها، ولكن السلمى أضاف إلى المعنى المراد معنى آخر وهو قتل الهوى، وإخراج حبّ الدنيا من القلب.

ويرى التستري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[البقرة: 35] حيث قال: "لم يرد الله معاني الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره، أي لا يهتم بشيء هو غيري"¹⁵. فنفى النهي عن الأكل، مع أن النهي يدل عليه، ثم حمله على أن المراد به الاهتمام بغير الله، والاقبال على غيره. وقال الإمام الشاطبي رحمه الله معلّقاً على تفسير سهل التستري رحمه الله للآية: "وهذا الذي ادعاه في الآية خلاف ما ذكره الناس من أن المراد النهي عن نفس الأكل، لا عن سكون الهمة لغير الله، وإن كان ذلك منهياً عنه أيضاً، ولكن له وجه يجري عليه لمن تأول، فإن النهي إنما وقع عن القرب لا غيره، ولم يرد النهي عن الأول تصریحاً، فلا منافاة بين اللفظ وبين ما فسر به"¹⁶.

التفسير الفيضي أو الإشاري الصوفي

هذا هو النوع الثاني من أنواع التفسير الصوفي، والإشارة كما عرّفها الإمام الجرجاني بقوله: "ما ثبت بنفس الصيغة من غير أن يساق له الكلام"¹⁷. أما الجاحظ فيعتبرها أبعد من مبلغ الصوت، وحسن الإشارة من تمام حسن البيان، ثم ذكر أصناف الدلالات منها اللفظ، ثم الإشارة وغيرها. كما أن الإشارة واللفظ شريكان عنده، ونعم العون هي للفظ، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها.¹⁸

¹⁴ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، **حقائض التفسير تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: سيد عمران، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001م)، ج1، ص154.

¹⁵ سهل بن عبد الله التستري، **تفسير التستري**، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ/2002م)، ص29.

¹⁶ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، (دم: دار ابن القيم، ط4، 1424هـ/2003م)، ج1، ص247.

¹⁷ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة، دط، دت)، ص26.

¹⁸ أنظر: عمر بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1418هـ/1998م)، ج1، ص78 و79.

ويشكل مصطلح الإشارة في العرف الصوفي مع مصطلح آخر هو العبارة، ثنائيةً يمكن أن تختصر العلاقة بين المعنى الإشاري والمعنى التفسيري، فمما هو محمول في معنى الإشارة عند الصوفية أهما: "تفهم من الله لعبده عن نور جماله وجلاله"¹⁹. وهي: "سقوط نكتة في القلب تدلّ على معنى مقبول"²⁰. وثمة تعريفات أخر للإشارة وردت عن بعض الصوفية، منها قولهم: "الإشارة: هي ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه"²¹. وقولهم: "وأما الإشارة: فما لا يتأتى للمتكلّم الإبانة عنه بالعبارة لكونه لطيفاً في معناه"²². على أنّ مثل هذه التعريفات تتصل بأساليب التعبير الصوفي ذات الطابع الرمزي، وكذلك بمصطلحاتهم ومعانيها، أكثر مما تتصل بالتأويل الإشاري. يقول ابن القيم في تعريف الإشارات: "هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد، ومن وراء حجاب. وهي تارة تكون من مسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواسّ كلّها. فالإشارات من جنس الأدلّة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعيّة فيلطف به الحسّ والذهن، فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة"²³. والإشارة قسمان: إشارة حسية، تكون في معاني أسماء الإشارة، وإشارة ذهنية، يتضمنها الكلام في معانيه الكثيرة، بحيث لو عبّر عنها لاحتاجت لألفاظ كثيرة.²⁴ والتفسير الإشاري من هذا القبيل كما تقدم تعريفه.

نستنتج مما سبق أن معنى التفسير الإشاري هو: تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. وهذه الخلاصة لا حرج فيها على من أخذ بها من أهلها، لكن الحرج هو في الإلزام بها بلا دليل، أو سلوك مسلك القول بالفيض بلا ذكر الإشارة حتى، ومنها انبجس التفسير الفيضي الذي تجاوز الإشارة إلى الوقوف على الآيات القرآنية وقفة مؤول

¹⁹ محمد بن عبد الكريم الكسنزان الحسبي، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، ص319.

²⁰ محمد مهدي الرواس، بوارق الحقائق، عني بنسخه وتحقيقه وطبعه: عبدالكريم بن سليم عبدالباسط، (طرابلس، ليبيا: مكتبة النجاح)، (د.ط.)، (د.ت)، ص85.

²¹ أبو نصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق: عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور، (مصر: دار الكتب الحديثة، دت، دط)، ص414.

²² أبو القاسم القشيري، أربع رسائل مخطوطات نادرة في التصوف، (بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي، 1969م)، ص259.

²³ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (بيروت: دار الكتاب العربي، دت، دط). ج2، ص389.

²⁴ المرجع نفسه، ص206

لها بحسب ما يفيض عليه من المعاني وإن لم تتصل بها ولو بالإشارة. وعليه، فيظهر الفرق بين التفسير الإشاري والتفسير الفيضي حتى وإن قرن البعض بينهما.

ومثال ذلك تفسير الإمام الألوسي في روح المعاني لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63]، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ المأخوذ بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصفات، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي الدماغ للتمكن من فهم المعاني وقبولها، أو أشار سبحانه ﴿بِالطُّورِ﴾ إلى موسى القلب، وبرفعه إلى علوه واستيلائه في جو الإرشاد وقلنا ﴿خُذُوا﴾ أي اقبلوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من كتاب العقل الفرقاني بجد، وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق ثم أعرضتم بإقبالكم إلى الجهة السفلية بعد ذلك فلولا حكمة الله تعالى بإمهاله وحكمه بإفضاله لعاجلتكم العقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة".²⁵

وكذلك تفسير النيسابوري لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: 67]. يقول: التأويل "ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني، وهو الجهاد الأكبر"²⁶. وقد فسر التستري "البسملة" تفسيراً إشارياً غير آخذ بضوابط التفسير الإشاري التي قعد لها العلماء. فقال: "الباء في البسملة بهاء الله، والسين سناء الله عز وجل، والميم مجد الله عز وجل (الله) هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه، حرف مكنى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة".²⁷

الفرق بين التفسير النظري والتفسير الإشاري و أثرهما في التفسير

في التفسير النظري يبنى على مقدمة علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك، أما التفسير الإشاري غير المنضبط فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على مجاهدات رياضية، يأخذ الصوفي نفسه بما حتى يصل إلى درجة إيمانية تفيض عليه بمعان جديدة للآيات - كما يرى-. والتفسير النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من معاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل عليه إلا هذا، على حسب

²⁵ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين

محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج1، ص282.

²⁶ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،

1416هـ)، ج1، ص314.

²⁷ التستري، المرجع السابق، ص22.

طاقته، أما الإشاري غير المنضبط فلا يرى الصوفي أن كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً قبل ذلك المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.²⁸ وعدم الانضباط بضوابط التفسير الإشاري كما قرره العلماء أدى ببعض مفسري الصوفية إلى تطويع الآيات لأرائهم التي سمّوها بالتجليات أو الفيوضات بلاضباط ولا دليل ولا إثبات لإشارة بعيدة، إنما جاءت من معان خارج هذه الآيات أسقطوها عليها إسقاطاً مما أنتج هذا الأثر العلمي المدرج ضمن المصنفات التفسيرية لهم والتي تقدّم ذكر أمثلة منها.

منهج التفسير الصوفي

يرتكز التفسير الصوفي على مبدأ أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله.²⁹

وقد ذكر السلمى منهجه في مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن: "ما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفسيرات ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور في القرآن الكريم حسب وسعى وطاقتي".³⁰

ويقول التستري في تفسيره: "ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص. كذلك لم يقتصر في تفسيره على المعاني الإشارية وحدها، بل نجده يذكر أحياناً المعاني الظاهرة، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية، وقد يقتصر أحياناً على المعنى الإشاري وحده، كما يقتصر أحياناً على المعنى الظاهري، بدون أن يعرج على باطن الآية".³¹

²⁸ أنظر: الرضواني، المعجم الصوفي، ص 131-132.

²⁹ أنظر: السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج 8، ص 2.

³⁰ عبدالكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب د.ت، ط 3)، ج 1، ص 3.

³¹ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 2، ص 282.

ولما تبين فيما سبق أن التفسير الإشاري لا يُدَمَّ كله بل يُدَمُّ منه ما لم ينضبط بضوابطه التي يُقبل بانضباطه بها، وعليه سيتم ذكر سماته وحكمه لمعرفة الفرق بين منهجية الإشارة المقبولة والإشارة المردودة.

التفسير الإشاري سماته وحكمه

يمكن القول بأن السمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتمثل في النقاط التالية:

أولاً: أن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً، وأن الظاهر للعوام، وأما الباطن لا يدركه إلا الخواص من علماء الصوفية، وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة. **ثانياً:** العلم بالقرآن يفتقر عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفي طرائقه وفي غاياته، كما أنه يفتقر عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لا بد أن يكون عاملاً، وعمله هو جهاده ورياضاته التي تؤدي إلى تنقية مرآته الباطنية من كل شائبة، فالتفسير عموماً ليس تفسيراً مباشراً، بل طريق يسلك بتركيب النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

ثالثاً: أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه يذكر بعض ما نقل من الآثار كما نرى في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو كما نرى في تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

رابعاً: تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

خامساً: مع ما في هذا النوع من التفسير من معاني تقبل بصعوبة، إلا أن هناك معانٍ مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى مخالفة أصول الاعتقاد الإسلامي.

سادساً: نجد في هذه التفسيرات أفكاراً باطنية، وبعض الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، كما نلاحظ عدم تتبع الدقة في تحري ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد³².

حكم التفسير الصوفي (الإشاري)

اختلف العلماء في هذه المسألة بين مؤيد ومعارض، وذلك بالقياس إلى مدى قرب المعاني من المفهوم الصحيح أو بعدها عنه.

أدلة المجيزين للتفسير الإشاري

³² أنظر: السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج 8، ص 3.

استدل العلماء على الاتجاه الإشاري في التفسير بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم. إذ يرى المفسرون الحاجة إلى التدبر وفهم كتاب الله بالتأمل وحسن الاستماع، ويرون أن التدبر والتأمل المطلوب هو الالتفات إلى مقاصد القرآن، ليعقلوا معانيه، ويدركوا مراميها، والمعنى أن يفهموا نفس الكلام، فهو بلغتهم ولسانهم، وهم فرسان اللغة وأرباب البيان، وهم عرب، ولكن نص القرآن يتضمن وراء دلالة اللفظية أفكارا وأحكاما ومعاني عميقة دقيقة لاتعارض مع ظاهر النص اللغوي اللفظي، وإنما توضحه وتجعله نافذا للقلوب، جاذبًا للنفوس، أسرارًا للأرواح. فحثهم على التدبر في هذه الآيات ليصلوا إلى مراد الله بعقولهم. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82] و قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:78]، فهناك معان لا تفهم من ظاهر الألفاظ، وإنما عن طريق الفيوضات الإلهية يفهمها العلماء المتدبرون المتقون³³. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37]. وقال أبو سعيد الخزاز: "أول الفهم لكتاب الله عز وجل العمل به، لأن فيه العلم والفهم والاستنباط، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ ويستدل الطوسي على التفسير الإشاري بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:18] "فالقرآن كله حسن ومعنى اتباع الأحسن، ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط"³⁴.

وقد استدل الصوفية بأحاديث عن النبي ﷺ التي تفيد أن للقرآن معنى ظاهرا وآخر باطنا، والظاهر هو المفهوم من الألفاظ، والباطن هو المعاني العميقة التي تتضمنها الآيات ويعقلها العلماء ويطلع عليها أرباب الحقائق من أهل السلوك المتصوفة، ومن ذلك ما خرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ

³³ أنظر: عبد الرحيم أحمد زقة، "الاتجاه الاشاري في تفسير القرآن الكريم مفهومه، ونشأته، وأدلتها وشروطه"، وضوابطه، المجلة

الأردنية في الدراسات الإسلامية، ص176.

³⁴ السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج8، ص4.

بِهَا وَرَجُلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَيْنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"35.

وكذلك استدل الصوفية بأقوال وردت عن الصحابة رضوان الله عليهم كما فهموها من المعاني والتي اخذوها عن طريق الفيض الإلهي بإطلاع الله سبحانه وتعالى لهم خارجة عن جلاله الالفاظ. ومنها ما روى عن أبي سعيد الخدري □ أن رسول الله □ جلس على المنبر فقال: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فبكى أبو بكرٍ وقال: فدَيْنَاك بَابَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فدَيْنَاك بَابَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أُمَّنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ حَوْحَةٌ إِلَّا حَوْحَةُ أَبِي بَكْرٍ"36. فأبو بكر الصديق فهم بطريق الإشارة ما لم يفهمه عامة الصحابة وأسعد بذلك رسول الله وكان الأمر كما قال أبو بكر الصديق. "وهذا الإعلام الإلهي والكشف الرباني والمعرفة اللدنية"37.

وماورد عن ابن عباس □ قال: "كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ قَالَ فَدَعَاكُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ وَمَا رُئِيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مَنِّي فَقَالَ مَا تَقُولُونَ بِي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: 2 - 1] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَمْرُنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي أَوْ لِمَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ شَيْئًا فَقَالَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكْذَابُكَ تَقُولُ قُلْتُ لَا قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] فَتُخِ مَكَّةَ فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] قَالَ عُمَرُ □: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعَلَّمُ"38. والشاهد هنا أن ابن عباس □ فهم من خطاب الله معنى خفيا وراء ظاهر الألفاظ لم يدركه عامة الصحابة في مجلسهم، وهذا يشبه عمل الصوفية في التفسير الإشاري، مبنى على فهم ومعرفة بحقائق

35 محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصغير، ج5، ص 3284، رقم الحديث 6137.

36 أخرجه البخاري، رقم الحديث: 3904..

37 رقة، الاتجاه الاشاري في تفسير القرآن الكريم مفهومه، ونشأته، وأدلته وشروطه، وضوابطه، ص 184.

38 أخرجه البخاري، رقم الحديث: 4294.

الأمر. وقد علق ابن حجر على الحديث بقوله: فيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يدركه ويتمكن من ذلك الفهم من رسخت قدمه في العلم وفي التقوى.³⁹ قال الشاطبي في الموافقات: " فظاهر السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذا نصر وفتح عليه وباطنها إن الله نعى إليه نفسه "⁴⁰ ففهم من هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم فسروا القرآن بطريق الإشارة، والإلهام الإلهي، وأن الله تعالى يلقي في قلب العبد علما من غير سبب اكتسابي أو حسي، ويطلع على أمور تخفى على غيره⁴¹، ويسمى هذا العلم بالعلم اللدني، وقد أشار القرن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: 65].

أقوال العلماء في التحذير من التفسير الصوفي (الإشاري المذموم)

حذر العلماء من هذا النوع من التفسير واعتبروه زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى. وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الزركشي في البرهان: "كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجيدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [التوبة: 123] إن المراد النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه"⁴².

وقال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال: "صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر"، ثم يعقب على ذلك بقوله: "وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيء من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومن ذلك، قتال النفس في قوله تعالى: ﴿ يَا

³⁹ أنظر: زقة، المرجع السابق ص 185.

⁴⁰ أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص 384.

⁴¹ شمس الدين محمد بن أبوبكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3، ص 222.

⁴² أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 171.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿123﴾ [التوبة:123]، فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فبما لیتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس⁴³.

كذلك قال النسفي في عقائده: "النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعها أهل الباطن إلحاد، وعلق سعد الدين التفتازاني بقوله: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدتهم في ذلك نفى الشريعة بالكلية، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان"⁴⁴.

يقول ابن عربي: "وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه، كان تنزيلا للفهم على قلوب بعض المؤمنين، والأنبياء ما قالت على الله مالم يقل لها، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا أفكارها، ولا تعملت فيها، بل جاءت من عند الله، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42] وقال فيه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42]، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورؤيته، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك، فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل⁴⁵.

ويقول الغزالي: "لا تظن في ضرب الأمثال، فرصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ [طه: 12] حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بعين عوراء إلى أحد العالمين، وجعلوا جهلا بالموازنة بينهما، فلم يفقهوا وجهه، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية، فالذي يجرى

⁴³ عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح: فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، (بيروت: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1410هـ)، ص 196-197.

⁴⁴ كامل موسى وعلى دحروج، كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، ص229.

⁴⁵ محمد السيد حسين الذهبي، تفسير ابن عربي للقرآن. حقيقته وخطره، (المدنية المنورة: الجامعة الإسلامية، ط، د.ت). ج1، ص20.

الظاهر حشوى، والذي يجرد الباطن باطنى، والذي يجمع بينهما كامل، بل أقول: موسى فهم من خلع النعلين اطح الكونين، فامتثل الأمر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا بخلع الكونين)⁴⁶.

ويقول الذهبي بأن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر ووطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، ووطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نطن وأعظم مما نتصور. أما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني. ويقول أيضا: " أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يحدوه كما اعترفوا بباطنه ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فبينما تجد لهم أفهاما مقبولة تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع"⁴⁷.

وخلاصة رأي الذهبي: وهو أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ولم يذيعوها على الناس فيوقعهم في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول على الله وبهتان، إذن ليتهم ما فعلوا ذلك، إذن لأراحونا من هذه الحيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله.

شروط قبول التفسير الإشاري.

إن العلماء الذين قبلوا هذا النوع من التفسير اشتروا فيه "ألا يكون التفسير الصوفي منافيا للظاهر من النظم القرآني الكريم، وأن يكون له شاهد شرعي يؤيده، وألا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وألا يدعى أن التفسير الصوفي هو المراد وحده من الظاهر، وألا يكون التأويل بعيدا لا يحتمله اللفظ فيه تلبس على أفهام الناس"⁴⁸.

فإذا توفرت هذه الشروط، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل نظري، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل

⁴⁶ أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار. تحقيق: أبي العلا عفيفي. (القاهرة: الدار القومية، (1964م)، ص 33.

⁴⁷ محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة. ط7، 2000م)، ج2، ص 265.

⁴⁸ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (بيروت: دار النفائس، ط5، 1428هـ/2007م) ص 208.

مكارم الأخلاق، فيجده الصوفي من نفسه ويسره بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحدا من الناس، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيرا وإنما يسمى ذكر النظر بالنظر الذي يعتبر صحيحا.⁴⁹

الخاتمة

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا البحث يمكننا التوصل الى النتائج إلى الآتية:

1. إنَّ التَّفْسِيرَ إِنَّمَا هُوَ شَرْحٌ وَبَيَانٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَمَا كَانَ فِيهِ بَيَانٌ، فَهُوَ تَفْسِيرٌ، وَمَا كَانَ خَارِجًا عَنْ حَدِّ الْبَيَانِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّفْسِيرِ وَإِنْ وَجَدَ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ.
2. من تفاسر المتصوفة ماغلبت عليه الشطحات التي تبعدهم عن النسق القرآني، وتجعل كلامهم غامضًا إلا على المشتغل بالشئون الروحية، الذي تعلم أساليب المتصوفة ومرن عليها.
3. أن السمة الغالبة في التفسير الإشاري تتمثل أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة. وهو على زوعين مقبول بضوابط ومردود إن خالفها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن.(1407هـ)، فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، ط1، بيروت: مكتبة العلوم والحكم.
- 2- ابن تيمية، تقي الدين أحمد. (1997م). مجموعة الفتاوى. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.
- 3- ابن عربي، محي الدين.(1317هـ)، تفسير، على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، دط، مج 2، ج1 د.م: طبعه حسن حلمي الكتبي وحمد حسن جمالي الحلبي.
- 4- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415 هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط1. المحقق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية .

⁴⁹ انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: بديع السيد اللحام، (د.م، دارقنينة، 1418 هـ، ط1)، ص 92-93. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ/1997م)، ص 374. السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج8، ص11.

- 5- البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله. د.ت. **الجامع الصغير**. ط3. تحقيق: مصطفى البغا، اليمامة: دار ابن كثير.
- 6- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**. (ط1). تحقيق: زهير ناصر الناصر، (د.م): دار طوق النجاة.
- 7- البغا، مصطفى محيي الدين ديب مستو. (1417 هـ / 1996م). **الواضح في علوم القرآن**. ط1 . دمشق: دار الكلم الطيب - دار العلوم الانسانية.
- 8- التستري، سهل بن عبد الله. (1423هـ/2002م). **تفسير التستري**، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 9- الجاحظ، عمر بن بحر. (1418هـ/1998م). **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، ج1.
- 10- الجديع، عبدالله بن يوسف. (142هـ / 2001م). **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، (ط1). بيروت: مؤسسة الريان.
- 11- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. (د.ت). **معجم التعريفات**، (د.ط). تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة: دارالفضيلة.
- 12- الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم. (1994م). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. (ط2) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- 13- الجوزية، شمس الدين محمد بن أبوبكر ابن قيم. (1972م). **مدارج السالكين**. (د.ط). تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- 14- الحسيني، محمد بن عبد الكريم الكسنزان. (2005م)، **موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان**. (ط1). دمشق: دار المحبة، بيروت: دار الهداية .
- 15- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1429 هـ / 2004م). **تعريف الدارسين بمنهج المفسرين**. (ط2). دمشق: دار القلم.
- 16- الخير آبادي، محمد أبواليث. (1426هـ/2005م). **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**. (ط1). ماليزيا: مركز البحوث الإسلامية بجامعة الإسلامية العالمية.
- 17- الذهبي، محمد السيد حسين. (2000م). **التفسير والمفسرون**. (ط7). (القاهرة: مكتبة وهبة).

- 18- الذهبي، محمد السيد حسين. (د.ت). تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره. (ط2). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
- 19- الرضواني، محمود عبد الرازق. (د.ت) المعجم الصوفي. رسالة الدكتوراه، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة.
- 20- الرواس، محمد مهدي. (د.ت). بوارق الحقائق. (د.ط). عني بنسخه وتحقيقه وطبعه: عبدالكريم بن سليم عبدالباسط. طرابلس، ليبيا: مكتبة النجاح.
- 21- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان . (1418هـ/1997م). اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 22- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (1424م / 2002م). تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر. (ط1). (د.م): (د.ن).
- 23- الزرقاني، محمد عبد العظيم. (1418 هـ / 198م). مناهل العرفان في علوم القرآن. (ط 1). تحقيق: بديع السيد اللحام، (د.م): دارقنينة.
- 24- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين . (1376هـ). البرهان في علوم القرآن. (ط1) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار احياء الكتب العربية.
- 25- زقة، عبد الرحيم أحمد. (1428هـ / 2007م). الاتجاه الاشاري في تفسير القرآن الكريم مفهومه، ونشأته، وأدلته وشروطه، وضوابطه. (د.ط). المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 3، العدد 1.
- 26- السقاف، علوي بن عبد القادر وآخرون. (1433هـ). موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام. (د.ط). (د.م): موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
- الشاطي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. (1395هـ/1975م). الموافقات في أصول الشريعة. ط2. تحقيق وتعليق: محمد عبد الله دراز. (د.م): (د.ن).
- 27- الصابوني، محمد علي. (1432هـ). التبيان في علوم القرآن. (ط4). (كراتشي: مكتبة البشري.
- 28- الصادق، جعفر. (1413هـ / 1993م). حقائق التفسير و مصباح الشريعة. (ط1). إشراف : على زيعور، (بيروت -لبنان: مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر.
- 29- الصالح ، صبحي. (2000م). مباحث في علوم القرآن. (ط24). (د.م): دار العلم للملايين.

- 30- الطوسي، أبو نصر السراج. (1960م). **اللمع في التصوف**. (د.ت). تحقيق: عبدالحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور. مصر: دار الكتب الحديثة.
- 31- الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (1427هـ). **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**. (ط2). الدمام: دار ابن الجوزي.
- 32- العك، خالد عبد الرحمن. (1428هـ/2007م). (ط5). **أصول التفسير وقواعده**. بيروت: دار النفائس.
- 33- الغزالي، أبو حامد. (1964م). **مشكاة الأنوار**. تحقيق: أبي العلا عفيفي. (د.ت). القاهرة: الدار القومية.
- 34- القشيري، أبو القاسم. (1969م). **أربع رسائل مخطوطات نادرة في التصوف**. (د.ت). تحقيق: قاسم السامرائي. بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي.
- 35- القشيري، عبدالكريم بن هوازن. (د.ت). (**لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني. (ط3). (مصر: الهيئة المصرية للكتاب).
- 36- كامل موسى و علي دحروج، (1412هـ/ 1992م). **كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها**. (د.ط)، بيروت: دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر.
- 37- معرفة، محمد هادي. **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب**. (1377هـ). (د.ط). مشهد: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.